الشاهد الشعري والنثري للكسائي في كتاب

معاني القرآن للفراء

جمعاً ودراسة

إعداد

أ.د / رسمية إبراهيم الدوسري

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية – الكويت

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

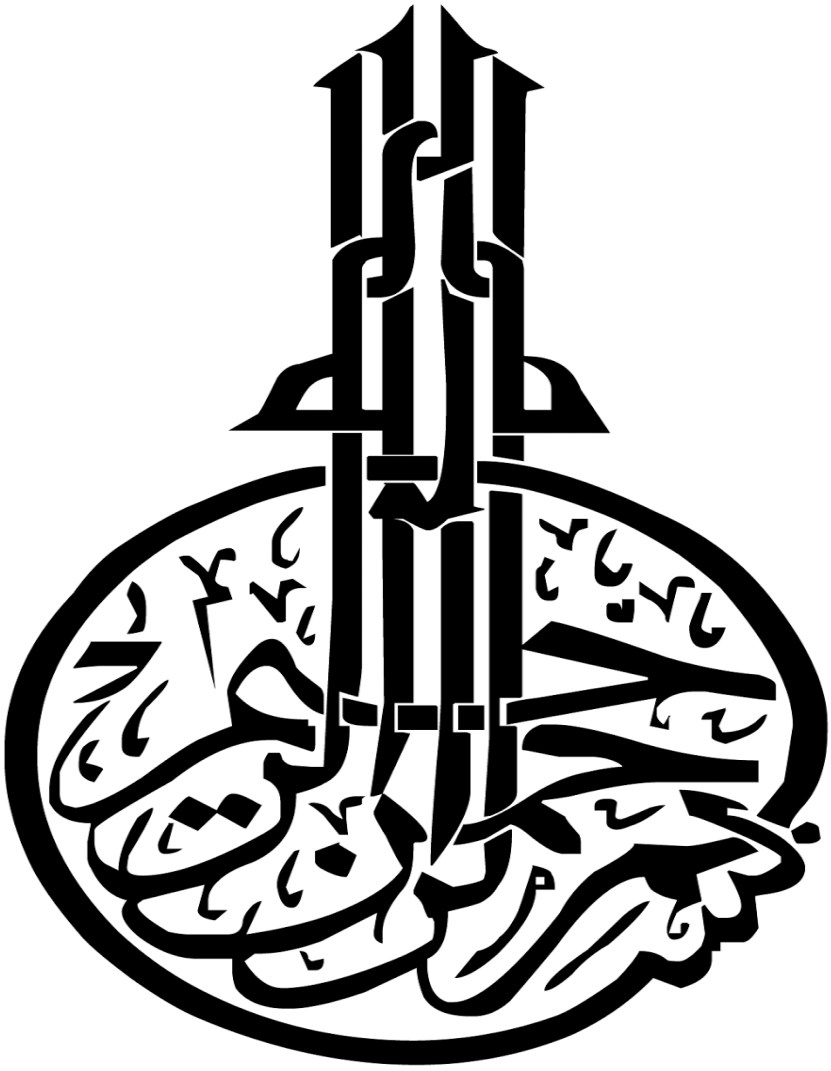

الشاهد الشعري والنثري للكسائي في كتاب معاني القرآن، للفراء

رسمية إبراهيم الدوسري.

قسم اللغة العربية – أستاذ مساعد – أكاديمية سعد العبد الله للعلوم الأمنية – الكويت

البريد الإلكتروني:

Dr.rasm.do@gmail.com

الملخص:

العرب حريصون علىٰ سلامة لغتهم؛ لذا كانوا يحتجون بالشعر الجاهلي وشعر المخضرمين إضافة لشعر الإسلاميين، باستثناء شعر المولدين وكان البصريون أكثر تشددًا من الكوفيين في مسألة الاحتجاج، حتىٰ أنهم رفضوا الاحتجاج بلغة بعض القائل العربية من مثل قبيلة لخم وقضاعة وتغلب وأزد عمان وحاضرة الحجاز، بل إن البصريين طعنوا في الكوفيين لأنهم يأخذون لغتهم من الأعراب ويعتمدون علىٰ القليل والشاذ وطعنوا أيضًا في الكسائي نفسه لأنه يحتج بالقليل والنادر والشاذ من اللغة، والكسائي المتوفىٰ (١٨٩هـ) والفراء المتوفىٰ (٢١١هـ) موثوق بفصاحتهما لأن الكسائي تلقىٰ علمه من العالم أبي جعفر الرؤاسي والعالم الخليل بن أحمد، وتلميذ الكسائي هو "الفراء" الذي تلقىٰ العلم منه ومن يونس بن حبيب وكان يقال عنه: لولا الفرّاء لما كانت العربية . وإذا كان النحاة قد قرروا أن كلام الشافعي في اللغة حُجَّةَ فلم لا نعدُّ ما يسمعه ويرويه الكسائي من العرب حُجَّةً وهو في النحو والقراءات حُجَّة.

ولأجل هذا قمت بعمل هذه الدراسة، حيث حاولت جمع الروايات التي سمعها الكسائي عن العرب واستشهد بها الفراء في كتابه "معاني القرآن"، وذلك بسبب أن الفراء أشهر تلاميذ الكسائي، ومع ذلك لم يتعصب لأستاذه وإمام مدرسته بل أنه خالفه في بعض الأحيان، كذلك هناك كتب للبصريين أكثرت من نقل آراء الكسائي من مثل: معاني القرآن للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس. أيضًا الفراء تلقىٰ هذه الروايات عن الكسائي مباشرة دون واسطة حيث كان يقول: أنشدني الكسائي عن العرب أو عن بعض العرب أو عن شاعر معين، وهذا إسناد متصل كما يقول أهل الحديث فالكسائي سمع مباشرة من الشاعر أو من العربي، ونقل ذلك إلىٰ أبرز تلاميذه الفراء الذي حرص كل الحرص علىٰ نقل كلام أستاذه في كتابه معاني القرآن.

الكلمات المفتاحية: الشاهد– الشعري – النثري– معاني– القرآن– الفراء– الكسائي.

Kasa'I In the book "The Meanings of the Qur'an" for Al-Faraa

By/ Rasmia Ibrahim El-Dosary, Arabic Department, An associate professor, Saad Al-Abdullah Academy for Security Sciences, Kuwait.
E-mail:- Dr.rasm.do@gmail.com

Abstract:-

Arabs are keen on the integrity of their language; therefore, they used pre-Islamic poetry and veteran poetry in addition to Islamists' poetry, with the exception of the poetry of the Mulids and the Basaris were more strict than the Kufic in the matter of protest. They refused to protest in the language of some Arab tribes, such as the tribe of Lakhm, Qada'h, Taghlab, Azad Oman and town of Hejaz. Indeed, the Basarians have appealed the Kufic because they take their language from the Bedouins and rely on the few and the oddities. They also appealed in El-Kasa'I himself because he invoked the few, rare and the oddities of the language. The deceased El-Kasa'i (189 AH) and the deceased Al-Faraa (211 AH) are reliable for their eloquence because Al-Kasa'i received his knowledge from the scholar Abi Jaafar Al-Ro'asi and the scholar Al-Khalil Ibn Ahmed. The student of El-Kasa'i is Al-Faraa that he received his knowledge from Younis Ibn Habib. It was said about that: without Al-Faraa, Arabic would not have been. And if the grammarians have decided that the speech of Al-Shaf'i in the language is an argument, then why do we not consider what El-Kasa'I hears and narrates from the Arabs as an argument? That in grammar and readings is an argument.

For this reason, I did this study. I tried to collect the stories that El-Kasa'i heard about the Arabs and were cited by Al-Faraa in his book "The Meanings of Qur'an", because Al-Faraa is the most famous student of El-Kasa'I, and yet he was not intolerant of his teacher and imam of his school, but rather he went against him in some cases. There are also books for the basarias that have conveyed the views of El-Kasa'i, such as: The Meanings of Qur'an and The Translation of the Qur'an for Al-Nahas. Al-Faraa also received these stories from El-Kasa'i directly without intermediary, where he said: El-Kasa'i chanted me about the Arabs or about some Arabs or about a certain poet. This is a related chain of transmission, as the people of hadith say. El-Kasa'i heard it directly from the poet or from the Arabs. He transferred this to his most prominent student Al-Faraa, who was keen to convey the words of his teacher in his book "The Meanings of the Qur'an".

Keywords:-Poetic – prose – quotation – meanings – Qur'an – Al-Faraa – El-Kasa'i.

مقدمة

الحمد لله حمدًا يبلغ رضاه والصلاة والسلام علىٰ خير خلق الله محمد بن عبدالله وآله و صحبه ومن والاه.

وبعد:

أباح النحاة الاحتجاج بشعر الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، كما أنهم رفضوا الاحتجاج بشعر المولدين. فقد أخذوا عن القبائل العربية محددين شروطًا للنقل عنهم، كصحة الرواية وخروج الكلام من حد القلة إلىٰ حد الكثرة، وهذا يعكس حرص أهل العربية القدماء علىٰ لغتهم حتىٰ أخذ هذا الحرص في بعض الأحيان شكلًا من التعنت، ومثال ذلك الأصمعي الذي لم يحتج بشعر الكميت أو الطرماح، وأبو عمرو الذي قال عن شعر الفرزدق: «لقد حسن هذا المولد حتىٰ هممت أن آمر صبياننا بروايته»، وكان أبو عمرو لا يعتد إلا بشعر المتقدمين، قال عنه تلميذه الأصمعي: «جلست إليه ثماني حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلام»[1]، فقد رفض الأصمعي شعر عدي بن زيد؛ لأنه كان يسمع لغات أهل الحيرة فيدخلها في شعره، والبصريون أشد تعنتًا من الكوفيين في المحافظة علىٰ اللغة وأخذ الرواية من أفواه الشعراء، وتبليغها أو إنشادها أمر مهم جدًّا في لغة تعتمد علىٰ السماع، كما أن أصحابها حريصون كل الحرص علىٰ سلامتها من الاختلال والفساد والخطل، وهذا يعكس حرص أهل العربية القدماء علىٰ لغتهم، ومن أشكال هذا التعنت أيضـًا، أن النحاة لا يأخذون عن لخم، وجذام، وقضاعة وغسان، وإياد، وتغلب، وأزد عمان، وأهل اليمن،

---

[1] الخزانة ١/ ٢٨.

وسكان اليمامة، وثقيف، وحاضرة الحجاز، فالبصريون يطعنون في الكوفيين؛ لأنهم يأخذون لغتهم من الأعراب، وقد نال إمام الكوفيين – الكسائي – قسطًا كبيرًا من سلاح البصريين في رفضهم لمذهب الكوفيين لأنهم – الكوفيين – في نظرهم يعتمدون علىٰ القليل والنادر والشاذ ويجعلونه أصولًا، وإذا كانت هذه المقولة صحيحة عند البصريين إلىٰ حد ما، فهناك بعض الاعتبارات يجب أن توضع في عين الاعتبار للكسائي.

أهمية الدراسة:

١- إن الكسائي (١٨٩هـ) علي بن حمزة، يعد مؤسس المدرسة الكوفية، وأحد أئمة القراءات، وعنه تلقىٰ علماء الكوفة، كما أن الكسائي وتلميذه الفراء (٢١١ هـ) موثوق بفصاحتهما ؛ لأن الكسائي أخذ عن أبي جعفر الرؤاسي، ثم رحل إلىٰ البصرة، حيث لقي الخليل وجلس إليه، والفرّاء أخذ عن الكسائي وعن يونس بن حبيب وكان يقال عنه: لولا الفراء لما كانت العربية[١]، ومما قال يحيىٰ بن معين عن الكسائي: مارأيتُ بعينيّ هاتين أصدق لهجة من الكسائي[٢] وأثنىٰ عليه الشافعي في النحو فقال: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عِتاَل علىٰ الكسائي[٣] وإذا كان النحاة قد قرروا أن كلام الشافعي في اللغة حجة، فلم لا نعدُّ ما يرويه الكسائي ويسمعه من العرب – وهو من هو في النحو واللغة والقراءات – حجة[٤].

٢- هذه الدراسة تمثل أنموذجًا تطبيقيًّا عن طريق الاحتجاج بتلك الشواهد

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ٢٧١.

(٢) جمال القراء ٢/ ٤٢٦.

(٣) تاريخ الإسلام ١٢/ ٣٠١.

(٤) انظر مثلًا: الاقتراح، ص ٢٠.

الشعرية والنثرية، وتقري المادة النحوية التي اشتملتها تلك الشواهد وإثبات الرأي النحوي الصحيح من وجهة نظر الفرّاء الذي لم يمنعه مذهبه الكوفي من مخالفة أصحابه أحياناَ، كما لم يمنعه خلافه مع أئمة البصريين من الوقوف معهم في مسائل رأي حججهم فيها أبين وأوضح، وقد ذكر أبو عبيدة في كتاب «القراء» أن الكسائي يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً، وكان- الكسائي – من أهل القراءة وهي علمه وصناعته ولم نجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه(١).

أسباب الدراسة:

أولها: توثيق آراء الكسائي، كما أوردها الفراء في كتابه الذي يعدّ الأصل الأول للتعرف علىٰ كتاب الكسائي معاني القرآن الذي فقد ضمن ما فقد من تراثنا.

ثانيها: أن الفراء كوفي المذهب إلا أنه لم يتعصب لأستاذه وإمام مدرسته الكسائي، بل خالفه في بعض الأحيان وسنرىٰ ذلك لاحقًا.

ثالثهما: أن هناك كتبًا للبصريين أكثرت من نقل آراء الكسائي وإنشاده، من مثل كتاب معاني القرآن للزجاج، وإعراب القرآن للنحاس، إلا أن صاحبي هذين الكتابين تحاملا كثيرًا علىٰ الكسائي وتعسفا في الرد عليه في كل ما قال.

رابعهما: أن الفراء تلقىٰ هذه الروايات عن الكسائي مباشرة دون واسطة، وقد اقتصرت في هذا السماع علىٰ أمرين، الأمر الأول: قول الفراء أنشدني الكسائي عن العرب أو عن بعض العرب أو عن شاعر معين، الأمر الثاني: قول الفراء: سمع الكسائي العرب تقول كذا وكذا... أو سمع الكسائي أعرابيًا فصيحًا أو...

---

(١) معرفة القراء١/ ١٠٧، ومعرفة القراء الكبار ١/ ١٢٢.

وهذا إسناد متصل كما يقول أهل الحديث، فالكسائي سمع مباشرة من الشاعر أو من العربي، ونقل ذلك إلىٰ أبرز تلاميذه الفراء، الذي كان حريصًا كل الحرص علىٰ نقل كلام أستاذه.

الدراسات السابقة:

فيما يخص الدراسات السابقة للشاهد النحوي عامة، فهي كثيرة، في حين أن الدراسات لما يخص الشاهد النحوي شعرًا ونثرًا عند الكسائي خاصة فلم يكن لها نصيب وافر من العناية والدراسة ولم أجد دراسة سابقة تحديدًا تعنىٰ بذلك.

وقد قسمت هذه الدراسة إلىٰ قسمين، القسم الأول ما يختص بالشعر أو الإنشاد، والقسم الثاني ما يختص بالنثر.

أولاً: الشاهد الشعري للكسائي في كتاب معاني القرآن للفراء

قال البصريون عن الكسائي: اختلط بالأعراب فأفسد بذلك النحو، كما قالوا عن الكوفيين: كانوا يتركون كتاب الله وإجماع العرب لقول أعرابية رعناء[1].

ذلك لأن الكوفيين لو سمعوا بيتًا فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلًا وبوبوا عليه، أما البصريين خالفوا ذلك واعتبروه من الشاذ ولا يقاس عليه، ومن هذا المبدأ غلط البصريون الكوفيين في كثير مما ذهبوا إليه من أشعار العرب. وهذا ما سنعرضه في الصفحات القادمة.

١- قال تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]: قال الفراء: جاء في قراءة عبد الله «أن يا بني إن الله اصطفىٰ لكم الدين»، يوقع (وصىٰ) علىٰ (أن) يريد: وصاهم بأن، وليس في قراءتنا (أن)، وكل صواب. فمن ألقاها قال: إن الوصية قول، وكل كلام رجع إلىٰ القول جاز فيه دخول (أن) وجاز إلغاؤها.

وأنشدني الكسائي:

إني سأبدي لك فيما أبدىٰ ... لي شجنان شجن بنجد

وشجن لي ببلاد السند[2]

لأن الإبداء في المعنىٰ بلسانه، وقد اختلف الكوفيون والبصريون في تقدير الآية السابقة، فـ (يعقوب) عطف علىٰ (إبراهيم) داخل في حكمه، والمعنىٰ: وصىٰ بها يعقوب بنيه أيضاً وقرئ (يعقوبَ) بالنصب عطفاً علىٰ بنيه. ومعناه

---

(١) الإنصاف ٢/ ٢٦٧.

(٢) البيت من الرجز، وهو في شرح التسهيل بلا نسبة٢/ ٩٧.

ووصىٰ بها إبراهيم بنيه ونافلته يعقوب. يا بنيّ علىٰ إضمار القول عند البصريين، وعند الكوفيين يتعلق بـ(وصىٰ) لأنه في معنىٰ القول[1].

**** **** ***

٢- قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾ [البقرة: ١٥٠] قال الفراء: أثبتت فيها الياء ولم تثبت في غيرها، وكل ذلك صواب، وإنما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها، وليست تهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً، من ذلك «ربي أكرمن – وأهانن» وقوله: «أتمدونن بمال» الفراء يتحدث عن الاجتزاء بالكسرة عن الياء، حيث ذكر أن الياء أثبتت في الآية السابقة، ولم تثبت في غيرها، ويقصد بغيرها قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ﴾ [المائدة: ٣] والاجتزاء بالكسرة عن الياء ظاهرة قرآنية وردت في مواضع كثيرة مثل قوله تعالىٰ: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢] ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ ﴾ [الإسراء: ٩٧] ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر: ٤][2].

**** **** ***

٣- وبعد أن ذكر الفراء الاجتزاء بالكسرة عن الياء ذكر أن بعض العرب وهم هوازن وعليا قيس يجتزئون بالضمة عن الواو، وقد ورد ذلك في القرآن

---

[1] معاني القرآن ١/ ٨٠.

[2] انظر: الكتاب ٣/ ١٨٥.

الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٨] وقوله عز وجل: ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الإسراء: ١١].

قال: وقد تسقط العرب الواو وهي واو جماعة، اكتُفي بالضمة قبلها فقالوا في ضربوا: قد ضَرَبُ، وفي قالوا: قد قالُ. قال الفراء: وأنشدني الكسائي:

متىٰ تقولُ خلت من أهلها الدارُ كأنهم بجناحي طائرٍ طاروا[1]

الشاهد في قوله (تقولُ) حيث اجتزأ بالضمة عن الواو.

*** **** ***

٤- **قال تعالىٰ:** ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

قال الفراء: يبشرك قرأها بالتخفيف أصحاب عبد الله في خمسة مواضع، وهذه المواضع هي قوله تعالىٰ: ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ﴾ [آل عمران: ٤٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الإسراء: ٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الكهف: ٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]، قال الفراء: والتخفيف والتشديد صواب، وكأن المشدد علىٰ بشارات البشراء، وكأن

(١) معاني القرآن ١/ ٩١. البيت من البسيط، ولا يعرف قائله.

التخفيف من وجهة الإفراح والسرور وهذا شيء كان المشيخة يقولونه وأنشدني بعض العرب:

بشرتُ عيالي إذ رأيتُ صحيفة أتتك من الحجاج يتلىٰ كتابها[1]

وبَشَرْت لغة سمعتها من عكل، ورواها الكسائي عن غيرهم. وقال أبو ثروان: بشرني بوجه حسن.

وأنشدني الكسائي:

وإذا رأيت الباهشين إلىٰ العلىٰ غبرا أكفُهم بقاع ممحلِ

فأعنهم وابْشُر بما بشروا به هم نزلوا بضنكٍ فانزلِ[2]

وقد ذكر الفراء أن التخفيف والتشديد في (يبشرك) صواب وقد وردا في قراءات متواترة، إلا أن التشديد أكثر ومنه علىٰ سبيل المثال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر: ١١]، وقوله تعالىٰ: ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ ﴾ [يس: ٧١]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هود: ٥٥] لذلك أرىٰ- والله أعلم- أن القراءة بالتشديد هي الأولىٰ لأنها وردت كثيراً في القرآن كما رأينا، والملاحظ هنا أن الفراء اعتمد علىٰ المسموع من كلام العرب (رواة – نحاة – محدثين ومفسرين) بوجه عام، فقد ذكر أن بعض العرب أنشده بشرتُ عيالي... وهذا شاهد مسموع عن العرب في بشَرَ يبشُرُ، ثم ذكر أن سفيان بن عيينه حكىٰ (يُبْشر)، ثم ذكر أن بشرت لغة سمعها -الفراء- من عكل، ورواها الكسائي عن غيرهم بوجه خاص في توجيه القراءات القرآنية، ثم ذكر أنه سمع أبا ثروان يقول: بشرني بوجه حسن وأخيرًا

---

(١) البيت من الطويل، ولا يعرف قائله.

(٢) من الكامل، وهو في معاني القرآن ١/ ٢١٢، وانظر: المفضليات، ص ١١٦، وشرح أبيات المغني ٢/ ٢٢٣. وينسب البيت لعبد قيس بن خفاف البرجمي.

سمع الكسائي ينشد]فأعنهم وابشرْ بما بشروا]. أي أن الفراء أجاز القراءة بالتخفيف- وهي قراءة متواترة- لأن السماع يعضدها.

**** **** ***

٥- قال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

الكوفيون يجوزون نعت الذي بالمعرفة، فيجوز عندهم مررت بالذي أخيك، وبالذي مثلك، إذ جعلوا صلة (الذي) معرفة أو نكرة لا تدخلها الألف واللام، جعلوها تابعة للذي. وأجاز الكسائي أن يكون (أحسن) في موضع خفض، وأن يكون صفة للذي، وهذا محال عند البصريين لأنه نعت للاسم قبل أن يتم، فـ «الذي» لا تعرف إلا موصولة، ولا توصف إلا بعد تمام صلتها[1]، وأحسن عند البصريين فعل ماض داخل في الصلة وليس نعتًا للذي[2]، قال الفراء: أنشدني الكسائي:

إن الزبيدي الذي مثل الحلم مشىٰ بأسلابك في أهل العَلَم[3]

والفراء يستشهد بما أنشده إياه الكسائي لتقوية رأيه حيث يجيز وأستاذه الكسائي نعت الذي بالمعرفة وعلىٰ صحة مذهب الكوفيين عمومًا، ففي قوله

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٤٧. وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٠٨.

(٢) الكشاف ٢/ ١٣٧، وقد ذكر ابن هشام أن بعض البصريين يوافق الكوفيين علىٰ هذا الوجه. المغني، ص٥٣٣.

(٣) من الرجز، ولا يعرف قائله. معاني القرآن ١/ ٣٦٥.

تعالىٰ ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. أجاز الكسائي والفراء أن يكون «أحسن» في موفع الخفض والعرب تقول: مررتُ بالذي هو خير منك وشر منك، ولا يقولون مررت بالذي قائم، لأن (خير منك) كالمعرفة إذا لم تدخل فيه الألف واللام، كذلك يقولون: مررتُ بالذي أخيك وبالذي مثلك، إذا جعلوها تابعة «للذي»، فهي جائزة عند الكوفيين كما رأينا سابقًا.

**** **** ***

٦- قال تعالىٰ: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٣].

أكثر العرب يقولون: سواءٌ علي أقمت أم قعدت، ويجوز: سواءٌ علي أقمت أم أنت قاعد.

قال الشاعر:

سواءٌ إذا ما أصلح الله أمرهم علينا أدَثْرٌ مالُهم أم صارِم(١)

الفراء لا يهتم كثيرًا بنسبة الشاهد و نادرًا ما ينسب شاهدًا أنشده الكسائي.

قال الفراء: وأنشدني الكسائي:

سواء عليك النفرُ أم بت ليلة بأهل القبابِ من نميرِ بن عامرِ(٢)

وأنشده بعضهم (أو أنت بائت)(٣). والملاحظ هنا أن الفراء لا يهتم بنسبة الشاهد الذي ينشده إياه الكسائي.

---

(١) من الطويل، ولا يعرف قائله.

(٢) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في المقاصد النحوية٤/ ١٦٦٣.

(٣) معاني القرآن ١/ ٤٠١.

والأغلب في الجملتين الواقعتين مع همزة التسوية، كقوله تعالىٰ: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا ﴾ [إبراهيم: ٢١] وقد ذكر النحاة أن همزة التسوية لا تقع إلا بعد جملتين شرطهما أن يكونا تأويل المفردين وسواء الاسميتان والفعليتان والمختلفتان[1]، وفي الشاهد الذي أنشده الكسائي الجملتان مختلفتان (النفر أم بت ليلة) والجملتان اسميتان في الإنشاد الآخر الذي أشار إليه الفراء (النفر أم أنت بائت) وكل ذلك صواب.

**** **** ***

٧- قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢].

ذكر الفراء أن (الحق) يجوز فيه النصب والرفع علىٰ أن تجعل هو (عمادًا) أو ما يسميه البصريون ضمير الفصل، والرفع علىٰ أن (هو) اسم وليس عمادًا، والحق خبره، والنصب قراءة السبعة أما الرفع فقراءة الأعمش وزيد بن علي[2]، يقول الفراء: إذا جئت إلىٰ الأسماء الموضوعة مثل عمرو، ومحمد، أو المضافة مثل أبيك وأخيك رفعتها فقلت: أظن زيدًا هو أخوك، وأظن أخاك هو زيد، فرفعت إذ لم تأت بعلامة المردود، وأتيت بهو التي هي علامة الاسم، وعلامة المردود أن يرجع كل فعل لم تكن فيه ألف ولام بألف ولام، ويرجع علىٰ الاسم فيكون (هو) عمادًا للاسم... ولا يصلح ذلك في (زيد) ولا في (الأخ) أن تنوي

(١) انظر مثلًا: المغني، ص ٥٦، والهمع ٣/ ١٦٦.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٤، والبحر المحيط ٤/ ٤٨٨.

فيهما ألفًا ولامًا، وعلىٰ هذا يتبين أن لا موضعًا محدداً من الإعراب عند الفراء،أما الكسائي فيجيز ذلك فيقول: رأيت زيدًا هو أخاك، ورأيت أخاك هو زيدًا. ويجوز النصب في (ليت) بالعماد، والرفع لمن قال: ليتك قائمًا.

وأنشدني الكسائي:

ليت الشباب هو الرجيعَ علىٰ والشيب كان هو البديءُ الأولُ[1]

نصب في (ليت)علىٰ العماد ورفع في كان علىٰ الاسم. والمعرفة والنكرة سواء في ذلك[2]. ونسب أبو حيان إلىٰ الفرّاء أن (ليت، و لعل) تنصبان مابعدهما من اسم وخبر مطلقا، والذي في «معاني القرآن» خاص بليت وحدها وفي حال وقوع ضمير العماد «الفصل» بينهما وبين اسمها (ليت الشباب...)[3].

**** **** ***

٨- قال تعالىٰ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٩].

اختلف النحاة والمفسرون في تقدير هذه الآية، فذهب الفراء إلىٰ أن (سقاية وعمارة) مصدران من (سقي وعمر) مثل الصيانة والوقاية، وهذان المصدران علىٰ تقدير الاسم أو هذا الاسم المقدر علىٰ تقدير آخر[4]، وقد استشهد علىٰ ذلك بما أنشده الكسائي:

---

(١) البيت من الكامل، وهو في التذييل والتكميل٥/ ٢٨، وشرح التسهيل٢/ ٩، ونسبه محقق المساعد للقطامي الشاعر١/ ٣٠٧، وهو كما ذكر في ديوانه.

(٢) معاني القرآن ١/ ٤١٠.

(٣) ارتشاف الضرب٢/ ١٣١.

(٤) المغني، ص٦٥٤.

لعمرك ما لفتيان أن تَنْبُتَ اللحىٰ ولكنما الفتيان كلُّ فتىٰ ندىٰ[1]

فجعل خبر الفتيان (أن). وهو كما تقول: إنما السخاء حاتم وإنما الشعر زهير[2].

أما التقديرات الأخرىٰ في الآية فقد ذهب الزجاج والزمخشري إلىٰ تقدير حذف مضاف، أي أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله، ويقوي هذا التقدير قراءة ابن الزبير وأبي وجزرة السعدي ومحمد بن علي وأبي جعفر القارئ: «أجعلتم سقاة الحاج وعمَرَة المسجد الحرام»[3]، وقيل: تقدير الآية: أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كعمل من آمن أو كإيمان من آمن...[4].

**** **** ***

٩- قال تعالىٰ: ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [التوبة: ٣٨].

قال الفراء: معناه تثاقلتم فإذا وصلتها العرب بكلام أدغموا التاء في الثاء؛ لأنها مناسبة لها، ويحدثون ألفًا لم يكن، ليبنوا الحرف علىٰ الإدغام في الابتداء

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في مغني اللبيب، ص٦٥٥.

(٢) الكشاف ٢/ ٢٥٤، والبحر المحيط ٤/ ٤٨٨.

(٣) انظر المحتسب ١/ ٢٨٥، والكشاف ٢/ ٢٨٧، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٥٤.

(٤) انظر مثلًا: تفسير الطبري ١٠/ ٦٧.

والوصل، وكأن إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء ولو حذفت لأظهروا التاء لأنها مبتدأة، والمبتدأ لا يكون إلا متحركًا(١).

وقد ذكر الفراء أن مثل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ [يونس: ٢٤] وقوله عز وجل: ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ ﴾ [النمل: ٤٧]. وأنشدني الكسائي:

تــولىٰ الضــجيعَ إذا مــا اســتافها عذب المذاقِ إذا ما اتابع القبل(٢)

فازينت أصلها تزينت، واطيرنا أصلها تطيرنا، وادارکوا أصلها تداركوا، واتابع في الشاهد الذي أنشده الكسائي أصلها تتابع، وأدغمت التاء في الحرف الثاني وهو الزاي من تزينت والطاء من تطيرنا والدال من تداركوا، والتاء من تتابع، فصارت زايًا وطاء ودالًا، وتاء، ثم جيء بألف الوصل ليتوصل بها إلىٰ النطق بالساكن(٣).

**** **** ***

١٠- قال تعالىٰ: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [يوسف: ٢٦].

قال الفراء: ولو كان في الكلام (أن إن كان قميصه) لصلح؛ لأن الشهادة تستقبل بـ (أن) ولا يكتفىٰ بالجزاء، فإذا اكتفت فإنما ذهب بالشهادة إلىٰ معنىٰ القول،

---

(٣) معاني القرآن ١/ ٤٣٨، ٤٣٧.

(٢) معاني القرآن ١/ ٤٣٨. والبيت من البسيط بلا نسبة.

(٣) انظر مثلًا: الهمع ٣/ ٤٣٧.

كأنه قال: وقال قائل من أهلها، كما قال: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ فذهب بالوصية إلىٰ القول. وأنشدني الكسائي:

وخبرتمـــا أن إنمـــا بـــين بيشـــة ونجران أحوىٰ والمحل قريـب (١)

الفراء يستشهد بما أنشده الكسائي علىٰ دخول (أن) علىٰ إنما وهي بمنزلتها (أن إنما بيشة)، وعلىٰ ذلك يجوز في الكلام (أن إن كان قميصه...).

**** **** ***

١١- قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٨]، قال الفراء: (لا يأتون) جواباً لقوله تعالىٰ: (لئن)، و العرب إذا أجابت (لئن) بـ (لا) جعلوا ما بعد (لا) رفعاً؛ لأن (لئن) كاليمين، وجواب اليمين بـ (لا) مرفوعٌ، وقد جزم بعض الشعراء ب (لئن) وبعضهم بـ (لا) التي هي جوابها، قال الأعشىٰ:

لـئن منيـت بنـا عـن غـب معركـة لا تُلْفنـا مـن دمـاء القـوم ننتفـل (٢)

قال الفراء أنشدتني امرأة عقيلية فصيحة:

لـئن كـان مـا حدثتـه اليـوم صـادقاً أصـمْ في نهـار القـيظ للشـمس باديـا

وأركـبْ حمـاراً بـين سـرج وفـروةٍ وأُعْرِ من الخاتام صـغرىٰ شـماليا (٣)

وأنشدني الكسائي للكميت بن معروف:

---

(١) معاني القرآن ٢/ ٤١. والبيت من الطويل بلا نسبة.

(٢) من البسيط، وهو من معلقة الأعشىٰ، ديوان الأعشىٰ، ص٣١٢.

(٣) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة.

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم لـــيعلم ربـــي أن بيتـــي واســـعٌ[1]

هذا البيت من الشواهد النادرة التي نسبها الفراء في قوله: أنشدني الكسائي للكميت بن معروف.

**** **** ***

١٢- قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية: ٣- ٥].

العرب تقول: إن لي عليك مالاً، وعلىٰ أخيك مال كثير، فينصبون الثاني ويرفعونه[2]. قال الفراء: تقرأ (الآيات) بالخفض علىٰ تأويل النصب، ويقوي الخفض فيها أنها قراءة عبد الله وفي قراءة أبي (لآيات، لآيات، لآيات)، والرفع قراءة الناس علىٰ الاستئناف فيما بعد (إن). وبعد أن ذكر الفراء ما ورد في (آيات) من قراءات، وكعادة الفراء لا ينسب كل قراءة إلىٰ صاحبها، كما أنه يخلط بين الشاذ والمتواتر. وقد وردت (آيات) ثلاث مرات في الآيتين السابقتين، وسنذكر – بإذن الله– ما ورد فيها من قراءات.

قوله تعالىٰ: ﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ قرئت بالنصب والرفع، والرفع قراءة الجماعة، والنصب قراءة حمزة والكسائي.

---

(١) البيت من الطويل. معاني القرآن ٢/ ١٣٠، ١٣١، وخزانة الأدب١٠/ ٦٨، والمقاصد النحوية٤/ ١٨٠٢، وشرح التصريح٢/ ٤١٤.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٤٥.

قوله تعالىٰ: ﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ النصب قراءة حمزة والكسائي، وقرأ الباقون من السبعة بالرفع[1].

أي أن حمزة والكسائي نصبا آيات في قوله تعالىٰ: ﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ وقوله: «آياتٍ لقوم يوقنون»[2].

وقد ذكر الفراء وجه كل قراءة، فالرفع علىٰ الاستئناف فيما بعد (إن) أي أن يكون الكلام جملة معطوفة علىٰ جملة، كما تقول العرب، إن لي عليك مالًا وعلىٰ أخيك مال كثير، وعلىٰ هذا نقول: إن زيدًا في الدار وعمرًا في السوق ويجوز وعمرو في السوق[3].

أما النصب أو الكسر في (آيات) وهي قراءة حمزة والكسائي فعلىٰ الحمل علىٰ لفظ (إن) دون موضعها، وفي هذا عطف علىٰ معمولي عاملين وهذا جائز علىٰ مذهب الأخفش وقد أباه سيبويه والمبرد، قال أبو العباس: وغلط أبو الحسن في الآيتين جميعًا، فإن جر (آيات) عطف علىٰ عاملين وهذا عندنا غير جائز[4].

---

(1) انظر مثلًا: السبعة ٥٩٤، والنشر ٢/ ٣٧١، والحجة ٦/ ١٦٩، والبحر المحيط٨/ ٤٣.

(2) قراءة أبي وغيره انظر: البحر المحيط ٨/ ٤٣.

(3) ويحتمل الرفع وجهًا آخر وهو العطف علىٰ موضع (إن) وما عملت فيه، انظر مثلًا: الحجة ٦/ ١٦، والبحر المحيط٨/ ٤٣، وإعراب القرآن للنحاس٤/ ١٣٩.

(4) المقتضب ٤/ ١٩٥، وانظر في الرد علىٰ المبرد الحجة ٦/ ١٧٠، والكشاف ٤/ ١٨٦.

وإذا كان المبرد قد رد القراءة بخفض (آيات) لأن فيها عطفًا علىٰ معمولي عاملين[1] فإن الفراء قوىٰ هذه القراءة، قال: ويقوي الخفض فيها أنها في قراءة عبد الله (لآيات) وفي قراءة أبي (لآيات)[2]. فالفراء يعتمد في احتجاجه لقراءة حمزة والكسائي علىٰ قراءتين شاذتين لابن مسعود وأبي، قال الفراء: ولو رفع رافع الآيات وفيها اللام كان صوابًا، قال: أنشدني الكسائي:

إن الخلافــة بعــدهم لذميمــة وخـلاف طـرف لممـا أحقـر[3]

فجاء باللام، وإنما هي جواب لأن، وقد رفع لأن الكلام مبني علىٰ تأويل (إن)[4].

وبعد أن ذكرنا ما أنشده الكسائي ونقله تلميذه الفراء في كتابه معاني القران، يمكن أن نجمل ما يتعلق برواية الشعر في النقاط الآتية:

١- اعتمد الفراء علىٰ المسموع بوجه عام، وعلىٰ ما أنشده الكسائي بوجه خاص في توجيه بعض القراءات القرآنية، فقد ذكر الفراء أن قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ ﴾ [آل عمران ٤٥] قرئت بالتخفيف في (يبشرك)، وقد اعتمد في توجيهه لهذه القراءة وإجازتها علىٰ المسموع عن العرب عمومًا، مثل قول الشاعر:

---

(١) العاملان هما (في وإن) وقد أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف الليل والنهار، والنصب في آيات. انظر: الكشاف ٤/ ١٨٦.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٤٥، وانظر: النشر ٢/ ٣٧١، والإتحاف، ص٣٨٩، ومختصر في شواذ القرآن، ص ١٣٩.

(٣) البيت من الكامل، ولم يعرف قائله، وهو في شرح التسهيل٢/ ٣١، والمقاصد النحوية٢/ ٧٣٧.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٤٥.

بَشَـرْت عيـالي إذ رأيـت صـحيفة .....

وقد سمع سفيان بن عيينة يقول: «يبشر» كما أن بشرت لغة سمعها الفراء من عكل، ورواها الكسائي عن غيرهم، وقال أبو ثروان: يبشرني بوجه حسن. ثم ذكر أن الكسائي أنشده:

فـأعنهم وابشَـرْ بمـا بَشـرُوا بـه .....

أي أن الفراء أجاز القراءة بالتخفيف – وهي قراءة متواترة – لأن السماع يعضدها.

٢- الفراء يستشهد بما أنشده إياه الكسائي لتقوية رأيه علىٰ صحة مذهب الكوفيين عمومـًا. ففي قوله تعالىٰ: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤] أجاز الكسائي والفراء أن يكون (أحسن) في موضع خفض صفة لـ(الذي) وهما يجيزان نعت الذي بالمعرفة، وقد استشهد الفراء علىٰ ذلك بما أنشده الكسائي:

إن الزبيـدي الـذي مثـل الحَلـمْ مشىٰ بأسـلابك في أهـل العلَـمْ[1]

وهذا رأي الكوفيين. أما البصريون فلا يجوز عندهم ذلك لأن (الذي) لا تعرف إلا موصولة، ولا توصف إلا بعد تمامها...

٣- نادرًا ما ينسب الفراء شاهدًا أنشده الكسائي، فالفراء لا يهتم كثيرا بنسبة الشاهد الذي أنشده إياه الكسائي، بل يكتفي بقوله أنشدني الكسائي... مثل قوله: أنشدني الكسائي:

---

(١) سبق.

سـواء عليـك النفـر أم بـتَّ ليلـة بأهل القباب من نمير بـن عـامر(١)

ومن الشواهد النادرة التي نسبها الفراء ما وردت في قوله: وأنشـدني الكسائي للكميت بن معروف:

لئن تك قد ضاقت عليكم بيـوتكم لـيعلم ربـي أن بيتـي واسـع(٢)

٤- الخلاف بين البصريين والكوفيين كثيرًا ما يرجع إلىٰ الرواية والشاهد من هذه الرواية وإذا ثبت هذا الشاهد، فمن الممكن أن يكون نادرًا لا يقاس عليه عند البصريين، أما الكوفيون فيعتبرون هذا القليل أصلًا يبنون عليه كثيرًا من الأحكام... والحديث عن موقف البصريين من استشهاد الكوفيين ببعض الشواهد أو بمعنىٰ أدق بما أنشده الكسائي لا يخرج عن موقف البصريين عمومًا من توظيف الشاهد الشعري وغيره. فالكوفيون يرون مثلًا نعت الذي بالمعرفة، ويجوز عندهم مررت بالذي أخيك وبالذي مثلك، ويستشهدون علىٰ ذلك بما أنش ده الكسائي:

إن الزبيـدي الـذي مثـل الحَلـمْ مشىٰ بأسـلابك في أهـل العلَـمْ(٣)

وهذا محال عند البصريين، وإذا كان الكوفيون استشهدوا بقوله تعالىٰ: ﴿ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ ﴾ علىٰ أن (أحسن) نعت الذي، فإن ابن هشام ذكر أن هذا تخريج للفصيح علىٰ الشاذ(٤).

**** **** ***

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في المقاصد النحوية ٤/ ١٦٦٣.

(٢) سبق.

(٣) سبق.

(٤) المغني، ص ١٨٦.

ثانياً: الشاهد النثري للكسائي في كتاب معاني القرآن للفراء

الكسائي سمع الكثير من المأثورات النثرية عن العرب، نقلها الفراء في كتابه معاني القرآن، وهذه المأثورات لها أهمية عند الكوفيين بوجه خاص حيث إن كثيرًا من آرائهم تعتمد علىٰ هذه المأثورات المنقولة، فالكوفيون قد يخالفون البصريين الذين لا يجيزون النقل لعدم وروده في السماع، وليس المقصود بالسماع هنا القرآن الكريم وقراءاته أو الحديث الشريف أو كلام العرب الشعري، بل المسموع قد يكون رواية عن أعرابي، أو قولاً سمعه الكسائي عن العرب ولا يهم عند الكوفيين أن تكون الرواية منسوبة للغة معروفة عن العرب، كما سنرىٰ في الصفحات القادمة.

١- قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾ [البقرة: ٢٦]

قال الكسائي: سمعت أعرابيًا رأىٰ الهلال فقال: الحمد لله ما إهلالك إلىٰ إسرارك. يريد: مابين إهلالك إلىٰ إسرارك؛ فجعلوا النصب الذي كان يكون في (بين) فيما بعده إذا سقطت؛ ليعلم أن معنىٰ (بين) مراد، وحكىٰ الكسائي عن بعض العرب: الشنق ما خمسًا إلىٰ خمس وعشرين. يريد: ما بين خمس إلىٰ خمس وعشرين[1].

وقد ذكر الفراء ثلاثة أوجه لنصب (بعوضة).

(١) معاني القرآن ١/ ٢١ - ٢٣.

❖ أن توقع الضرب علىٰ بعوضة، وتجعل (ما) صلة، والمعنىٰ: إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة فما فوقها مثلًا.

❖ أن تجعل (ما) اسمًا، والبعوضة صلة، فتعربها بتعريب (ما).

❖ أن تجعل المعنىٰ: إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضة إلىٰ ما فوقها، والعرب إذا ألقت (بين) من كلام تصلح إلىٰ في آخره، نصبوا الحرفين المخفوضين اللذين خفض أحدهما بـ (بين) والآخر بـ (إلىٰ) فيقولون: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجملًا، وهي أحسن الناس ما قرنًا فقدمًا، وهذا الوجه هو أحب الأوجه إلىٰ الفراء، وهو رأي أستاذه الكسائي[1]، واختيار الفراء لهذا الوجه جاء بناء علىٰ أمرين:

❖ أن العرب إذا ألقت (بين) من كلام تصلح (إلىٰ) في آخره، نصبوا الحرفين، وقد سمع عن العرب: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة فجملًا، وهي أحسن الناس ما قرنًا فقدمًا...

❖ ما سمعه الكسائي عن العرب (الحمد لله ما إهلا لك إلىٰ إسرارك، والشنق ما خمسـًا إلىٰ خمس وعشرين).

هذا اختيار الكوفيين، أما البصريون فالأجود عندهم أن تكون (ما) زائدة مؤكدة كأنه قال: إن الله لا يستحي أن يضرب بعوضة مثلًا، وقد استدل البصريون علىٰ زيادة (ما) للتوكيد بقوله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] أي فبرحمة من الله لنت لهم[2]. أما المرجح عند الكسائي من الأوجه السابقة فهو الوجه الثالث.

---

[1] انظر مثلًا: إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠٣، والبحر المحيط ١/ ١٢٢.

[2] معاني القرآن وإعرابه ١/ ٩٧، وانظر إعراب القرآن للنحاس ١/ ٢٠٣، والكشاف ١/ ١٠٨.

**** **** ***

٢- قال تعالىٰ: ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨] حكىٰ الكسائي عن العرب: مررت ببلاد قل ما تنبت إلا البصل والكراث، أي ما تنبت إلا هذين، وكذلك قول العرب: ما أكاد أبرح منزلي؛ وليس يبرحه وقد يكون أن يبرحه قليلًا، والوجه الآخر: أن يكونوا يصدقون بالشيء قليلًا ويكفرون بما سواه: بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم[1].

وقد ذكر الفراء تفسيرين لقوله تعالىٰ: ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨]:

القول الأول: معناه لا يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا، وهذا قول الكسائي، والقول الآخر: أن الله وصف إيمانهم بالقلة لأنهم كفروا بالرسول، والملاحظ أن الفراء لم يرجح رأيًا علىٰ آخر، وبمقاييس الكوفيين نستطيع أن نرجح الرأي الأول، لأنه رأي الكسائي، وقد سمع عن العرب نفي القليل، وهم يريدون نفي القليل والكثير، ومنه ما حكاه الفراء: ما أكاد أبرح منزلي، وقل ما رأيت مثل هذا قط، وماحكاه الكسائي: مررت ببلاد قل ما تنبت إلا البصل والكراث، والمعنىٰ في كل ذلك علىٰ نفي القليل والكثير.

*** *** ***

٣- قال تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥]، قال الكسائي: سألني قاضي اليمن وهو بمكة، فقال: اختصم إلي رجلان من العرب، فحلف أحدهما علىٰ حق صاحبه، فقال له: ما أصبرك علىٰ الله! وفي هذه أن يراد بها: ما

---

[1] معاني القرآن ١/ ٥٩، ٦٠.

أصبرك علىٰ عذاب الله، ثم تلقىٰ العذاب فيكون كلامًا؛ كما تقول: ما أشبه سخاءك بحاتم[1]، ذكر الفراء: هنا وجهين لمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾، ومعناه ما الذي صبرهم علىٰ النار؟ وهذا الوجه ذكره ابن جرير الطبري عن السدي[2].

أما الوجه الآخر وهو قول الكسائي وقطرب[3]، فهو أن تجعل المعنىٰ علىٰ التعجب أي ما أجرأهم علىٰ النار! أو فأي شيء صبرهم علىٰ النار، وهذا الوجه مبني علىٰ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي ما أصبرهم علىٰ عمل أهل النار.

واختيارات الكسائي جاءت مبنية علىٰ ما سمعه من أقوال العرب حيث اختار أن يكون المعنىٰ علىٰ التعجب في قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ١٧٥]. لأنه سمع قاض في اليمن.

*** *** ***

٤- قال تعالىٰ: ﴿ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، زعم الكسائي أن من العرب من يقول: الرِضاعة بكسر الراء، فإن كانت هي بمنزلة الوِكالة والوَكالة، والدِلالة والدَلالة، ومهرت الشيء مِهارة ومهَارة، والرَّضاع والرِّضاع فيه مثل ذلك، إلا أن فتح الراء أكثر، ومثله الحِصاد والحَصاد[4]. قال الفراء:

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٠٣.

(٢) انظر مثلًا: البحر المحيط ١/ ٤٩٤، وتفسير القرطبي ١/ ٦١٤.

(٣) البحر المحيط ١/ ٤٩٤.

(٤) معاني القرآن ١/ ١٤٩.

القراء تقرأ بفتح الراء من الرَّضاعة، أما الكسر فهي قراءة شاذة نسبت إلىٰ الجارود وأبي رجاء[1]، كما أن أكثر العرب يفتحون الراء أما الكسر فلغة قليلة نسبت لبعض بني تميم[2].

*** *** ***

٥- قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

قال الكسائي: سمعت بعض العرب يقولون: نقدت لها مائة، يريدون نقدتها مائة، وقد وجه الفراء قراءة عبد الله[3] «تبوئُ للمؤمنين مقاعد القتال» بقوله: والعرب يقولون: ردفك وردف لك، وأنشدني الكسائي:

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد إليه الوجه والعمل[4]

الفراء هنا يوجه قراءة عبد الله «تبوئ المؤمنين» حيث ذكر أن العرب قد تسقط اللام مثل: استغفر الله ذنبًا، أي لذنب ثم هناك قول الكسائي بما سمعه عن العرب «نقدت لها» أي «نقدتها»»، أي أن العرب قد تسقط اللام كما في «تبوئ المؤمنين»، واستغفر الله ذنبا، وقد تأتي هذه اللام علىٰ المعنىٰ نفسه، تبوئ للمؤمنين.

*** *** ***

---

(١) انظر مثلًا: مختصر شواذ القرآن ٢١.

(٢) انظر مثلًا: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٣٧.

(٣) الكشاف ١/ ٣٦١.

(٤) البيت من البسيط، ولم ينسب لأحد، كما في أوضح المسالك٢/ ٣١٦.

٦- قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

زعم الكسائي أنه سمع بعض أهل العالية يقول: لا ينفعني ذلك ولا يضورني. من الضير، فلو قرئت (لايضُرْكم) علىٰ هذه اللغة كان صوابا[١]، وقد اختلف القراء في ضم الضاد وتشديد الراء، وكسر الضاد وتخفيف الراء في قوله تعالىٰ «لا يضركم» فقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع (لايضِركم) بكسر الضاد وتخفيف الراء، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (لايضُركم) بضم الضاد وتشديد الراء[٢]. فمن قرأ (يضرِكم) جعله من الضير يقال: ضار يضير مثل باع يبيع، أما من قرأ (يضُركم) فإنما جعله من ضره يضره[٣] ولو جاءت قراءة علىٰ هذه اللغة (يَضُركم) لكانت صوابًا، وقد رد ذلك الزجاج، قال وهذا غير جائز ولا يقرأ حرف من كتاب الله -عز وجل- مخالف فيه الإجماع علىٰ قول رجل من أهل العالية[٤].

*** *** ***

(١) معاني القرآن ١/ ٢٣٢.

(٢) السبعة، ص٢١٥.

(٣) انظر مثلًا: الحجة ٣/ ٧٥، والكشاف ١/ ٣٥٩، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١٥٦.

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٣٩٠، الفراء هنا يوجه قراءة عبد الله " تبوىء المؤمنين" حيث ذكر أن العرب قد تسقط اللام مثل: استغفر الله ذنبًا، أي لذنب ثم هناك قول الكسائي بما سمعه عن العرب " نقدت لها" أي نقدتها " انظر: مشكل إعراب القرآن ١/ ١٥٦.

٧- قال تعالىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ ﴾ [النساء: ٩٠].

قال الفراء: (حصرت صدورهم) أي ضاقت صدورهم. وقد قرأ الحسن «حصرة صدورهم».

والعرب تقول: أتاني ذهب عقله، يريدون: قد ذهب عقله. والكسائي سمع بعضهم يقول: فأصبحتُ نظرت إلىٰ ذات التنانير. فإذا رأيت فعل بعد كان ففيها قد مضمرة، إلا أن يكون مع كان جحد فلا تضمر فيها (قد) مع جحد لأنها توكيد والجحد لا يؤكد[1].

وفي الآية توجهات لابد من ذكرها فقوله تعالىٰ: «أو جاؤوكم حصِرت صُدُرُهُمْ» عطف علىٰ قوله: «يصلون» داخل في حكم الاستثناء، أي: إلا الذين يصلون والذين جاءوكم، ويجوز أن يكون عطفًا علىٰ صفة قوم، أي إلا الذين يصلون إلىٰ بينكم وبينهم ميثاق والذين يصلون إلىٰ قوم جاءوكم حصرت صدورهم. وقوله تعالىٰ: (حصرِت صُدُورُهم) خبر بعد خبر، أي جاءوكم ثم أخبر فقال: (حصرت صدورهم)، فعلىٰ هذا يكون (حصرت) بدلًا من (جاءوكم)، وقيل: حصرت في موضع خفض علىٰ النعت لـ (قوم)، وقيل: التقدير: أو جاءوكم رجال أو قوم حصرت صدورهم، وقال المبرد: (حصرت صدورهم) دعاء عليهم، كما تقول: لعن الله الكافرين[2] والفراء ذهب إلىٰ أن

---

[1] معاني القرآن ١/ ٢٨٢.

[2] السابق ١/ ٢٨٢.

حصرت صدورهم حال من المضمر المرفوع في جاءوكم، كما تقول: جاء فلان ذهب عقله، أي قد ذهب عقله، وسمع الكسائي بعض العرب يقول: «فأصبحت نظرت إلىٰ ذات التنانير» وفي هذه الآية «أو جاءوكم حصرت صدورهم» كانت سببًا في اختلاف النحويين، فالبصريون يرون أن الفعل الماضي الواقع حالًا لا بد معه من (قد) ظاهرة أو مضمرة مثل الآية السابقة. وهذا ما جزم به المتأخرون كابن عصفور والأبذي والجزولي، وهو قول المبرد والفارسي. وخالفهم الكوفيون واشترطوا ذلك في الماضي الواقع خبرا لـ (كان) كقوله عليه الصلاة والسلام «**أليس قد صليت معنا؟**»، وقول الشاعر:

وكنا حسبنا كل بيضاء شحمةً عشية لاقينا جذاما وحميرا[1]

وهذا مذهب الأخفش وأبي حيان، قال: والصحيح جواز وقوع الماضي حالًا بدون (قد)، ولا يحتاج لتقديرها لكثرة ورود ذلك. وتأويل الكثير ضعيف جدًا لأنا إنما نبني المقاييس العربية علىٰ وجود الكثرة[2].

إذن (حصرت صدورهم) حال من فاعل (جاء) علىٰ رأي الفراء، والعرب تضمر (قد) مثل قوله أتاني ذهب عقله، وسمع الكسائي: «فأصبحت نظرت إلىٰ ذات التنانير»، ويؤيد ذلك قراءة الحسن: «حصرت صدورهم»[3] وأرىٰ – والله أعلم – أن رأي الكوفيين والأخفش وأبي حيان في وقوع الماضي حالًا من غير

---

(١) البيت من الطويل، وهو لزفر بن الحارث الكلابي، ينظر: أوضح المسالك٢/ ٤٠، والمقاصد النحوية٢/ ٨٣٥.

(٢) انظر مثلًا: الإنصاف ١/ ٢٥٣، والتبيين، ص ٣٨٣، والمقتضب ٤/ ١٦٨، وشرح المفصل ٢/ ٥٧.

(٣) انظر مثلًا: النشر ٢/ ٢٥١، والكشاف ١/ ٤٧٤.

تقدير هو الصحيح، لأن قد كثر في لسان العرب، قال أبو حيان: وقد جاء منه ما لا يحصىٰ كثرة بغير (قد) وقال في موضع ثان: ولا يحتاج إلىٰ إضمار (قد) لأنه قد كثر وقوع الماضي حالًا في لسان العرب بغير (قد) فسائر القياس عليه. وقال في موضع ثالث: ولا يحتاج إلىٰ إضمار (قد) فقد كثر وقوع الماضي حالًا بغير (قد) كثرة ينبغي القياس عليها. وقال في موضع رابع: وقوع الماضي حالًا بغير(قد) هو الصحيح، إذ كثر ذلك في لسان العرب كثرة توجب القياس، ويبعد فيها التأويل[1].

*** *** ***

٨- قال تعالىٰ: ﴿ يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ﴾ [النحل: ٥٩].

قال الكسائي: سمعت العرب تقول: إن كنت لقليل هون المؤونة من اليوم. وقال: سمعت الهوان في مثل هذا المعنىٰ من بني إنسان قال: قال لبعير له ما به بأس غير هوانه يقول: إنه هين خفيف الثمن[2]،فالهون في لغة قريش بمعنىٰ الهوان، وكذا قرأ عيسىٰ بن عمر الثقفي[3]،وقد سمع الكسائي من العرب من يجعل الهون بمعنىٰ الشيء الهين، وحكىٰ أبو عبيد عن الكسائي أنه البلاء والمشقة، قالت الخنساء:

تهينُ النفوسَ وهونُ النفو ... س يوم الكريهة أبقىٰ لها[4]

---

[1] معاني القرآن ٢/ ١٠٦، ١٠٧.

[2] الكشاف ٢/ ٥٨٧.

[3] معاني القرآن للكسائي، ص١٧٨.

[4] معاني القرآن ٢/ ٣٢٥. والبيت من المتقارب، وهو في ديوان الخنساء، ص١٠٥.

قال الفراء: الهون في لغة قريش: الهوان، وبعض بني تميم يجعل الهون مصدرًا للشيء الهين.

*** *** ***

٩- قال تعالىٰ: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ ﴾ [الروم: ٤].

سمع الكسائي بعض بني أسد يقرؤها (لله الأمر من قبلِ ومن بعدُ) يخفض (قبلِ) ويرفع (بعدُ)، علىٰ ما نوىٰ، وأنشد الكسائي:

أكابدها حتىٰ أعرِسَ بعدما يكون سُحَيرًا أو بُعَيْدَ فأهجعا(١)

أراد: بعيد السحر فأضمره، ولو لم يرد ضمير الإضافة لرفع فقال (بعيدُ).

قال الفراء: القراءة بالرفع بغير تنوين؛ لأنهما في المعنىٰ يراد بهما الإضافة إلىٰ شيء لا محالة، فلما أدتا عن المعنىٰ ما أضيفتا إليه وسموهما بالرفع وهما مخفوضتان؛ ليكون الرفع دليلًا علىٰ ما سقط مما أضفتهما إليه، وكذلك ما أشبههما، كقول الشاعر:

إن تأت من تحت أجئها من عل(٢)

ومثله قول الشاعر:

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ(٣)

---

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في خزانة الأدب٦/ ٥٠٥.

(٢) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة في خزانة الأدب٦/ ٥٠٤.

(٣) البيت من الطويل، وهو لعتي بن مالك العقيلي كما في الخزانة٦/ ٥٠٤، وشرح المفصل لابن يعيش٤/ ١٣٧.

ترفع إذا جعلته غاية ولم تذكر بعده الذي أضفته إليه، فإن نويت أن تظهره أو أظهرته قلت: لله الأمر من قبلِ ومن بعد. كأنك أظهرت المخفوض الذي أسندت إليه (قبل و بعد).

من الظروف المبنية في بعض الأحوال (قبل وبعد) وهما ظرفان لازمان الإضافة. ولهما أحوال:

أ- أن يصرح بمضافهما نحو جئت بعدك ودخلت قبلك، فهما معربان منصوبان علىٰ الظرفية.

ب- أن يقطعا عن الإضافة لفظًا ومعنىٰ قصدًا للتنكير، وهنا ينونان بالجر، وقد يرفعان.

ج- أن يحذف مضافهما لكن ينوىٰ لفظه، وهنا يعربان ولا ينونان لانتظار المضاف إليه المحذوف.

د- أن يحذف مضافهما وينوىٰ معناه، فيبنيان علىٰ الضم[1]ففي الآية الكريمة: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ ﴾ حذف المضاف إليه ونوىٰ معناه، فلذلك بنيتا علىٰ الضم، والتقدير: لله الأمر من قبل الغلب ومن بعده[2] أو من قبل أن يغلب الروم ومن بعد ما غلبت، أو من قبل كل أمر ومن بعده، والقراء مجمعون علىٰ هذه القراءة، إلا أن النحاة أجازوا أكثر من وجه في هذه الآية الكريمة، فالكسائي سمع بعض بني أسد يقرؤها: «لله الأمر من قبلٍ ومن بعدُ».

---

[1] معاني القرآن ٢/ ٣١٩،٣٢٠.

[2] انظر: الهمع ٢/ ١٤١.

الأول مخفوض منون، والثاني مضموم بلا تنوين، فقد قطعت (بعد) عن الإضافة... أما (قبل) بالخفض والتنوين، فقد قطعت عن الإضافة لفظًا ومعنىٰ قصدًا للتنكير، والقراءة بخفض (قبل) وتنوينها قراءة أبي السمال والجحدري وعون العقيلي – مع ملاحظة أنهم يخفضون (بعد) وينونونها[1]، قال الزمخشري: وقرئ: «من قبل ومن بعد» علىٰ الجر من غير تقدير مضاف واقتطاعه، كأنه قيل: قبلًا وبعدًا، بمعنىٰ أولًا وآخرًا[2]. إذن ما سمعه الكسائي من بعض بني أسد (من قبلٍ ومن بعدُ) له توجيه نحوي إلا أن القراءة سنة متبعة، فلا تجوز القراءة بها؛ لأنها لم ترد عن الرسول –صلىٰ الله عليه وسلم– ولا عن أحد أصحابه. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ غلط بعض النحاة الخفض في (قبل وبعد) بتنوين أو بغير تنوين، قال: وبعضهم يجيز (من قبل ومن بعد) بغير تنوين وهذا خطأ؛ لأن (قبل وبعد) هاهنا أصلهما الخفض، لكن بنينا علىٰ الضم لأنهما غايتان. ومعنىٰ غاية أن الكلمة حذفت منها الإضافة. وجعلت غاية الكلمة ما بقي بعد الحذف، وإنما بنيتا علىٰ الضم لأن إعرابهما في الإضافة النصب والخفض تقول: رأيته قبلك ومن قبلك، ولا يرفعان ؛ لأنهما لا يحدث عنهما لأنهما استعملتا ظرفين، فلما عدل عن بابهما حركا بغير الحركتين اللتين كانتا تدخلان عليهما بحق الإعراب، فأما الكسر بلا تنوين فذكر الفراء أنه تركه علىٰ ما كان يكون عليه في الإضافة ولم ينون وليس هذا القول مما يعرج عليه ولا قاله أحد من النحويين المتقدمين[3].

---

(1) الكشاف ٣/ ٥٠٠.

(2) البحر المحيط ٧/ ١٥٨.

(3) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٣٤.

نخلص من ذلك إلىٰ أن القراء مجمعون علىٰ «من قبلُ ومن بعدُ» وورد في بعض القراءات الشاذة «من قبلٍ ومن بعدٍ» وأجاز الفراء «من قبلِ ومن بعدِ» وسمع الكسائي بعض بني أسد يقرأ «من قبلِ ومن بعدُ»، ولا يجوز القراءة بها لأن القراءة سنة متبعة، وليس كل ما يجوز في العربية يجوز في القراءة ولا يلتفت في القراءة إلىٰ غير الرواية الصحيحة التي قرأ بها القراء المشهورون بالضبط والثقة. أما ما سمعه الكسائي من بعض بني أسد فأفضل ما يقال فيه: أنه جائز في العربية ومع ذلك غير جائز في القراءة إلا إذا ورد في رواية صحيحة.

*** *** ***

١٠- قال تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ [الروم: ٣٩].

سمع الكسائي العرب تقول: أصبحت مقويًا، أي: إبلك قوية، وأصبحت مضعفًا، أي: إبلك ضعاف تريد ضعيفة من الضعف قال الفراء: «المضعفون أي أهل المضاعفة؛ كما تقول العرب: أصبحتم مسمنين معطشين إذا عطشت إبلهم أو سمنت، واختلف المفسرون وأهل اللغة في تفسير(المضعفون) فقيل: المضعفون أي ذو أضعاف من الحسنات، كما يقال رجل مُقْو أي صاحب قوة، وموسر أي صاحب يسار. وقيل: أولئك هم المضعفون به؛ لأنه لا بد من ضمير يرجع إلىٰ (ما) في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم ﴾[1] والكسائي سمع من العرب «أصبحت مقويًا» أي إبلك قوية... وعلىٰ ذلك فالمضعفون في الآية معناها أصحاب الأضعاف، أي الذين يضاعف لهم الحسنات.

*** *** ***

[1] الكشاف ٣/ ٥١٢.

١١- قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر: ٥٤].

زعم الكسائي أنه سمع العرب يقولون: أتينا فلانًا فكنا في لحمه ونبيذه. فوحد ومعناه الكثير[١] أي أن مذهب الكسائي أن الاسم الواحد _ أي الفرد _ يدل علىٰ الجميع فيجتزأ به عن الجميع، أو بعبارة أخرىٰ قد يأتي المفرد مرادًا به الجمع، وهذا من الحمل علىٰ المعنىٰ. فـ (نهر) عند الكسائي واحد يدل علىٰ الجمع أي أنهار، وقد استشهد علىٰ ذلك بما سمعه من العرب (في لحمة ونبيذه)، وهذا معروف في لغة العرب فمنه:

بها جيف الحسرىٰ فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب[٢]

أي جلودها، ومنه:

لا تُنْكِرُوا القَتْلَ وقد سُبِينَا في حَلْقِكم عَظْمٌ وقد شَجِينَا [٣]

أي عظام ومنه:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص[٤]

أي في بعض بطونكم[٥] وفي الآية (إن المتقين في جنات ونهر) تقدير آخر مخالف لتقدير الكسائي وهو أن معنىٰ (نهر) أي ضياء وسعة، قال الفراء: وسمعت بعض العرب ينشد:

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١١١.

(٢) البيت من الطويل، وينسب لعلقمة الفحل. الكتاب١/ ٢٠٩.

(٣) البيت من الرجز، وينسب للمسيب بن زيد الغنوي. الكتاب١/ ٢٠٩.

(٤) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة في الكتاب١/ ٢١٠، وشرح المفصل٥/ ١٨. وهو من الأبيات الخمسين التي لم يعرف قائلها.

(٥) انظر مثلًا: الكتاب ١/ ٢١٠، والمقتضب ٢/ ١٧٢، وشرح المفصل ٥/ ٨.

إن تـــك ليليـــا فـــإني نهِـــرُ متـىٰ أرىٰ الصـبح فـلا أنتظـر [1]

ومعنىٰ نهر: صاحب نهار[2].

*** *** ***

١٢- قال تعالىٰ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

سمع الكسائي العرب يقولون: التقينا فقلنا سلامٌ سلامٌ، ثم تفرقنا. أراد قلنا: سلام عليكم فردوا علينا[3].

(إلا قيلا سلامًا سلامًا) نصب (سلامًا) يحتمل أكثر من وجه، فيجوز أن يكون بدلًا من (قيلًا) ويجوز أن يكون مفعولًا لـ(قيلًا)، أي: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلامًا سلامًا. ويجوز أن يكون (سلامًا) منصوب بفعل هو محكي بـ (قيلا)، أي إلا قيلا سلموا سلامًا سلامًا. ويجوز أن يكون (سلامًا) صفة لـ (قيلًا)[4].

هذه هي التقديرات التي أجازها النحاة في نصب (سلامًا). وأجاز الكسائي – وتبعه الفراء – الرفع (إلا قيلًا سلام سلام) والكسائي أجاز الرفع استنادًا إلىٰ ما سمعه من العرب: التقينا فقلنا سلام سلام. والفراء استشهد بقول الشاعر:

فقلنـا الســلام فاتقـت مـن أميرهـا فما كان إلا ومؤها بالحواجب[5]

---

(١) البيت من الرجز، وهو بلا نسبة. لسان العرب١٤/ ٣١٣.

(٢) معاني القرآن ٣/ ١١١، والكشاف ٤/ ٣١٦.

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٢٤.

(٤) انظر مثلًا: الكشاف ٤/ ٣٣١، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣٠.

(٥)البيت من الطويل، وهو بلا نسبة.

والرفع في (سلام سلام) علىٰ الحكاية أي سلام عليكم، مبتدأ وخبر، والرفع في (سلام سلام) الذي أجازه الكسائي والفراء ورد في قراءة شاذة[1].

وبعد هذا ما سمعه الكسائي عن العرب مباشرة، ثم حكىٰ ما سمعه، والفراء كان أشهر تلاميذه وهو خير من نقل هذا المسموع وذكره في كتابه معاني القرآن.

وبعد ذكر هذه النقول يمكن أن نسجل نتائج هذه الدراسة:

١- قد يكون ما نقله أو ما حكاه الكسائي عن العرب مسوغًا لترجيح رأي علىٰ آخر، والكوفيون- كما هو معروف- يقيسون علىٰ القليل والنادر والشاذ ويجعلونها أصولًا تبنىٰ عليها كثير من القواعد. ففي قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ ﴾، ذكر الفراء ثلاثة أوجه لنصب (بعوضة) رجح منها الوجه الثالث وهو أن يكون المعنىٰ: إن الله لا يستحي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضة إلىٰ ما فوقها، والمسوغ لترجيح هذا الوجه هو أن الكسائي سمع إعرابيًا يقول: الحمد لله ما إهلالك إلىٰ سرارك، وقد حكىٰ أيضًا عن العرب: الشنق ما خمسًا إلىٰ خمس وعشرين.

٢- جاءت اختيارات الكسائي مبنية علىٰ ما سمعه من العرب، ففي قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾ [االبقرة: ١٧٥]. اختار الكسائي أن يكون المعنىٰ علىٰ التعجب، وجاء اختيار الكسائي لهذا الوجه؛ لأنه سمع قاضي اليمن وهو بمكة يقول: اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما علىٰ حق صاحبه، فقال له: ما أصبرك علىٰ الله.

---

[1] انظر مثلًا: الكشاف ٤/ ٣٣١.

ومن أمثلة ذلك أيضًا ما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ٨٨] اختار الكسائي أن يكون المعنىٰ علىٰ نفي قليل الإيمان وكثيره؛ لأنه سمع من العرب: مررت ببلاد قل ما تنبت إلا البصل والكراث. أي ما تنبت إلا هذين.. كما اختار الكسائي أن يكون قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر: ٥٤] في معنىٰ وأنهار، فـ (نهر) مفرد جاء مرادًا به معنىٰ الجمع واختيار الكسائي هذا جاء بناء علىٰ أنه سمع من العرب: أتينا فلانًا فكنا في لحمةٍ ونبيذةٍ فوحد ومعناه الكثير.

٣- كثيراً ما يذكر الكسائي ما سمعه عن العرب دون نسبه فيقول: ومن العرب من يقول كذا... أو سمعت بعض العرب... أو سمعت أعرابيًّا... فالكسائي سمع من العرب من يقول (الرِّضاعة) بكسر الراء، ولم ينسب هذا المسموع، ولم ينسبه أيضًا الفراء، وهي لغة منسوبة لبعض بني تميم[1].

ومن أمثلة ذلك أيضًا سماع الكسائي العرب تقول: نقدت لها مائة، يريدون نقدتها. وسمع الكسائي بعضهم يقول: فأصبحت نظرت إلىٰ ذات التنانير، وسمع الكسائي بعض العرب يقول: إن قائم، يريد إن أنا قائم، كما سمع «لكن والله» يريد: لكن أنا والله.

وسمع الكسائي العرب تقول: أصبحت مقويًا، أي إبلك قوية، وأصبحت مضعفًا أي إبلك ضعيفة، كما سمع العرب تقول: التقينا فقلنا سلامٌ سلامٌ، فالملاحظ أن الكسائي لا ينسب ما سمعه من العرب وهذا في الغالب، وقد يحدد

---

[1] انظر مثلًا: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٣٧.

هذا المسموع تحديدًا لا يرتقي إلىٰ نسبته مثل قوله: سمعت أعرابيًا... أو سمعت النحويين ... والفراء لا ينسب ما لم ينسبه الكسائي.

٤- نادرًا ما ينسب الكسائي ما سمعه عن العرب، ومن المسموع الذي ورد منسوبًا قول الكسائي: سمعت بعض بني أسد يقرأ «من قبلٍ ومن بعدُ»، وقوله: سمعت بعض أهل العالية يقول: لا ينفعني ذلك وما يضورني.

٥- قد يأتي المسموع موافقًا لقراءة شاذة، فقد سمع الكسائي من العرب رفع (سلام) وذلك عند الحديث عن قوله تعالىٰ: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴾. وما سمعه الكسائي عن العرب من رفع (سلام) ورد في قراءة شاذة «إلا قيلا سلام سلام»، أي أن هذا المسموع صادف قراءة شاذة، ولكن ليس معنىٰ ذلك أنه يجوز القراءة بما هو مسموع عن العرب، فالقراءة سنة متبعة. وقد يكون المسموع عن العرب جائزًا في العربية، إلا إنه غير جائز في القراءة؛ لأنه لم ترد به رواية عن أحد القراء، ونستطيع أن نقول إن كل ما يقرأ به لا بد أن يكون جائزًا في العربية، وليس كل ما يجوز في العربية تصح به القراءة.

*** *** ***

الخاتمة

وبعد.. فهذه وقفة مع نماذج قليلة مما أوردها الفراء لشيخه العالم بالعربية – الكسائي– جعلتها مادة لهذه الدراسة، وهي نماذج من مخزون كثير زخر به كتاب «معاني القرآن للفراء»، والذي فقد جل تراثه، وما وصل إلينا متفرقًا في كتب النحاة بحاجة إلىٰ جمع لتسهيل الوصول إلىٰ تراث الكسائي العظيم.

التوصيات:

١– التعرف علىٰ مذهب الكسائي في الاستشهاد بالشعر والنثر.

٢– مساعدة القارئ علىٰ الوقوف علىٰ سلوك اللفظ النحوي عندما يستعمل الفصحىٰ.

٣– الوقوف علىٰ ورود الكلمات في اللغة العربية بدليل ورودها في بيت شعريأو مثل سائر أو قول مأثور أو نحوه.

٤– التعرف علىٰ أهمية الشاهد الشعري الذي يمثل ركنًا أساسيًا من أركان السماع.

*** **** ***

المصادر

١- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، البنا الدمياطي، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٥م.

٢- ارتشاف الضرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، دار الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٣- إعراب القرآن، النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

٤- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، دار المعارف، حلب.

٥- الإنصاف في مسائل الخلاف، الأنباري، تحقيق: محمد محيىٰ الدين بعد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٦- أوضح المسالك، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.

٧- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٨- التبيين علىٰ مذهب النحويين، العكبري، تحقيق: عبد الرحمن سليمان العثيمين، بيروت، د.ت.

٩- التذييل والتكميل، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، د.ت.

١٠- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.

١١- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٩٨٧م.

١٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٩م.

١٣- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ت.

١٤- ديوان الأعشىٰ، تحقيق: د. محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي، بيروت، د.ت.

١٥- ديوان الخنساء، تحقيق: د. أنور أبو سويلم، دار عمار، عمّان، د.ت.

١٦- السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠ه.

١٧- شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.

١٨- شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٩- شرح التصريح، خالد الأزهري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٠- شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٢١- الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٢٢- الكشاف، الزمخشري، شرحه وضبطه: يوسف الحماوي، مكتبة مصر، د.ت.

٢٣- لسان العرب، ابن منظور، اعتناء: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

٢٤- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق: علىٰ النجدي وآخرين، نشر لجنة إحياء التراث في المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية بالقاهرة، ١٩٩٩م.

٢٥- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، ابن خالويه، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

٢٦- المساعد علىٰ تسهيل الفوائد، ابن عقيل، تحقيق: د. محمد كامل بركات، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٩٨٢م.

٢٧- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.

٢٨- معاني القرآن، الأخفش، تحقيق: عبد الأمير محمد أمين الورد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

٢٩- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور صورة عن الطبعة الأولىٰ، د.ت.

٣٠- معاني القرآن، الكسائي، جمع وترتيب، د. عيسىٰ شحاته، دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م.

٣١- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، د.ت.

٣٢- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٣- المفضليات، المفضل الضبي، تحقيق: د. عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، د.ت.

٣٤- المقاصد النحوية، العيني، تحقيق د/ علي محمد فاخر وآخرون، دار

السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،٢٠١٠م.

٣٥- المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية بالقاهرة، د.ت.

٣٦- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، نشر محمد علي الضباع، المكتبة التجارية الكبرىٰ، القاهرة، د.ت.

٣٧- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

*** *** ***